ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار الثامن – العدد الثامن والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – نيسان – 2025م
www.ajsp.net

"إمكانية إحياء الفكر القومي العربي كمشروع نهضوي"

إعداد الباحث:

جمال حمزه الطفيلي

طالب دكتوراه بقسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة بيروت العربية– لبنان

https://doi.org/10.36571/ajsp7832

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار الثامن – العدد الثامن والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – نيسان – 2025م
www.ajsp.net

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة إمكانية إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي يعزز الهوية العربية ويحقق الوحدة والتنمية في ظل التحديات الراهنة. يتناول البحث أسباب تعثر الفكر القومي العربي، موضحًا العوامل الداخلية، مثل الانقسامات السياسية وضعف التكامل الاقتصادي، والعوامل الخارجية، مثل التدخلات الدولية والتبعية الاقتصادية. كما يستعرض البحث التجارب النهضوية السابقة، مثل تجربة محمد علي باشا والتجربة الناصرية، لاستخلاص الدروس التي يمكن أن تسهم في إعادة بناء المشروع القومي العربي وفق رؤية أكثر حداثة وواقعية.

ويركز البحث على الأسس الضرورية التي يجب أن يقوم عليها المشروع القومي العربي في العصر الحالي، ومنها تعزيز التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، وإرساء مبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وتفعيل دور النخب الفكرية والمجتمع المدني في ترسيخ الهوية القومية. كما يناقش البحث أهمية التعامل مع العولمة بحذر، بحيث يتم الاستفادة منها دون فقدان الاستقلالية الثقافية والسياسية للأمة العربية.

ويخلص البحث إلى أن إحياء المشروع القومي العربي لا يزال ممكنًا، لكنه يتطلب إعادة صياغة أهدافه وآلياته بما يواكب المتغيرات الإقليمية والدولية. لذا، يوصي البحث بوضع رؤية استراتيجية جديدة تقوم على التنمية الشاملة، وتمكين المجتمعات العربية، وتعزيز التعاون العربي في مختلف المجالات، بما يسهم في تحقيق نهضة قومية عربية متكاملة ومستدامة.

الكلمات المفتاحية: المشروع القومي العربي، النهضة العربية، التكامل الاقتصادي، الفكر القومي.

المقدمة:

شهدت الأمة العربية عبر تاريخها الحديث محاولات عدة للنهوض والتحديث، غير أن هذه الجهود غالبًا ما كانت تصطدم بعوامل داخلية وخارجية تعيق تحقيق الوحدة والتنمية المستدامة. وقد تفاقمت التحديات في العقود الأخيرة مع تصاعد الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى تراجع الحلم القومي العربي وتفتت الروابط بين الدول والشعوب. ومع ذلك، فإن الضرورة التاريخية تحتم إعادة النظر في مشروع النهضة القومية كوسيلة لاستعادة الهوية العربية وتعزيز التكامل والتضامن بين الدول العربية، خاصة في ظل المتغيرات العالمية التي تتطلب تكتلات قوية لمواجهة التحديات المعاصرة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة إمكانية إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي، وذلك من خلال تحليل العوامل التي أدت إلى تعثره سابقًا، واستعراض المتطلبات الأساسية لإعادة إحيائه وفق رؤية تتناسب مع التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة. إن استنهاض الفكر القومي لا يعني العودة إلى الماضي بصورة جامدة، بل يتطلب إعادة صياغته بطريقة تستفيد من التجارب السابقة مع تبني نهج أكثر ديناميكية يراعي المستجدات العالمية والإقليمية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحة إلى إحياء المشروع القومي العربي في ظل التحديات التي تواجه الأمة، مثل التشرذم السياسي والتبعية الاقتصادية وتراجع الهوية الثقافية. يساهم البحث في تسليط الضوء على أسباب تعثر الفكر القومي العربي، وسبل إعادة بنائه بما يواكب المتغيرات الإقليمية والدولية. كما يقدم رؤية علمية لاستنهاض المشروع القومي كمحرك للتنمية والوحدة العربية.

مشكلة البحث:

الإشكالية تدور حول طرح السؤال الرئيسي التالي:

"كيف يمكن إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي يواكب التحديات الراهنة ويحقق الوحدة والتنمية والاستقلالية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية؟"

فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: يساهم ارتفاع مستوى الوعي بأهمية الوحدة والتكامل العربي في دعم إحياء الفكر القومي كمشروع نهضوي.

الفرضية الثانية: تلعب القيادة السياسية والفكرية دوراً حاسماً في صياغة رؤية جديدة للفكر القومي العربي قادرة على استقطاب الشباب وتحقيق التنمية.

الفرضية الثالثة: إن تحديث الفكر القومي العربي وتضمين مفاهيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة يزيد من فرص نجاحه كمشروع نهضوي.

الفرضية الرابعة: تزداد فرص إحياء الفكر القومي العربي كمشروع نهضوي عندما تكون هناك مشاركة واسعة من مختلف الفئات الاجتماعية.

أهداف البحث:

الهدف الرئيسي:

إعادة استكشاف إمكانية إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي يعزز الهوية العربية ويحقق التنمية والوحدة في ظل التحديات الراهنة.

الأهداف الفرعية:

- تحليل أسباب تعثر الفكر القومي العربي واستكشاف العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى تراجعه.
- تسليط الضوء على التجارب النهضوية السابقة واستخلاص الدروس منها لإعادة بناء مشروع قومي معاصر.
- تحديد الأسس والمقومات الضرورية لإعادة إحياء المشروع القومي العربي بما يواكب المستجدات العالمية.
- اقتراح استراتيجيات وآليات عملية لتعزيز الوحدة والتكامل العربي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

- توضيح دور النخب الفكرية والسياسية والمجتمع المدني في تحقيق المشروع القومي العربي كمحرك للتنمية والاستقلالية.

أهمية البحث :

رغم المحاولات العديدة لإحياء المشروع القومي العربي، إلا أنه لا يزال يواجه تحديات جوهرية أدت إلى تعثره وتراجعه على مدى العقود الماضية. وتتجلى المشكلة في تفكك الوحدة العربية، وتزايد النزاعات الداخلية، والتبعية الاقتصادية، إلى جانب التأثيرات الخارجية التي تعيق تحقيق نهضة عربية شاملة. لذا، يسعى هذا البحث إلى دراسة إمكانية إعادة إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي قادر على مواجهة هذه التحديات، مع التركيز على العوامل التي أدت إلى تعثره وسبل معالجتها في ضوء المستجدات الإقليمية والدولية.

حدود الدراسة:

1- الحدود الزمنية:

إستغرق إجراء هذه الدراسة البحثية من ثلاثة اشهر إلى أربعة، وتم تطبيقها في العام 2024-2025.

2- الحدود الموضوعية:

ركزت هذه الدراسة على أهمية إحياء الفكر القومي كمشروع نهضوي في المجتمع العربي بشكل عام باعتباره حقل هذه الدراسة، وتناولت تجربتين قوميتين نهضويتين هما:تجربة محمد علي باشا في مصر، وتجربة جمال عبد الناصر في مصر، باعتبارهما نموذجين معبرين عن التجربة القومية العربية ككل، من أجل الإستفادة من إيجابيتهما، وإعادة التطلع في بناء مشروع نهضوي عربي جديد.

3- الحدود المكانية: الوطن العربي

مصطلحات الدراسة وتعريفها:

مفهوم القومية

القومية كلمة مشتقة من "القوم" وهي تعبير عن وجود جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة وينحدرون غالبا من أصل واحد كالعرب والفرس والترك (عدنان محمد زرزور. 1999 ،ص 43). وقد اعتبرها عمر فروخ في كتابه: "تجديد التاريخ" بكونها: "العصبية الجنسية، وهي شعور جماعة من الناس بأنهم ينتمون إلى أصل واحد، ودليلهم على ذلك أنهم يتكلمون لغة واحدة ويشتركون في تراث واحد، ثم يتجه تاريخهم اتجاها واحدا جامعا ومع أن في القومية عناصر أخرى كالدين الرابط الروحي والتنظيم الاجتماعي والتنظيم السياسي، فإن معظم الدعاة إلى القومية في القرن الماضي والقرن الحالي لا يعيرون أمثال هذه العناصر وخصوصا عنصر الدين اهتماما وافيا" (عمر فروخ، 1980 ،ص 364) .

وتصبح القومية بهذا المعنى مفهوم يشير إلى التكتل والتماسك من أجل تحقيق الكيان القومي ينظر إليها مؤرخو العرب على أنها من مستحدثات العصر، تأصلت جذورها منذ أحداث الثورة الفرنسية وتبلورت ملامحها في البيئة الأوروبية، ومنها انتشرت إلى أقطار ومجتمعات أخرى من العالم فيما بعد (جورج أنطونيوس، 1987، ص 24)ونكتفي هنا بالقول أن دعاة القومية على وجه الإجمال، أغفلوا

دور الدين والعقيدة الدينية في قيام الحضارات ونشوء الأمم والقوميات، كما أغفلوا دوره في الربط بين أفراد جماعة أو جنس من الناس على الرغم من العلاقة الخاصة بين العروبة والإسلام (عدنان محمد زرزور، 1999).

الفكر القومي العربي:

هو منظومة أيديولوجية وسياسية واجتماعية تهدف إلى توحيد الشعوب العربية في دولة واحدة أو في كيان سياسي واقتصادي متكامل. يقوم هذا الفكر على عدة مرتكزات أساسية اللغة والتاريخ والثقافة والمصالح المشتركة، وبالتالي يجب أن يتوحدوا في دولة واحدة أو في إطار اتحادي.الاستقلال :التحرر من الاستعمار والتبعية الأجنبية، وتحقيق السيادة الكاملة على الموارد الطبيعية والاقتصادية.التقدم؛ تحقيق التنمية الشاملة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واللحاق بركب الحضارة الحديثة.العدالة الاجتماعية :تحقيق المساواة والعدالة بين جميع المواطنين، وتوزيع الثروة بشكل عادل، وتوفير فرص متساوية للجميع(ألبرت حوراني :1962، ص32)

الإطار النظري والدراسات السابقة:

إمكان إحياء الفكر القومي العربي كمشروع نهضوي.

قد تصاب الأمم في لحظات من تاريخها بالكبو، "فتنتكس حركة التراكم والتقدم فيها" (المشروع النهضوي العربي، 2013، ص19)وهذا هو حال الأمة العربية التي دخلت بعد نكسة 1967، واحتلال العراق عام 2003 "طور تراجع عام" (السابق: ص21)طال مستوياتها كافة: الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والأمنية.

وقد تفاقمت معطيات ذلك التدهور والتراجع على نحو لا سابق له، حيث بدا الوضع العربي وكأنه جانح نحو الإنهيار والسقوط وخاصة بعد استشراء الإنقسام العربي "والتدهور المروع في معدلات النمو الناجم أولاً عن فساد السياسات الإقتصادية الرسمية، وعن الإنتقال من الإقتصاد الموجّه إلى الإقتصاد الحر دون ضوابط، وما استتبعه ونجم عنه من بيع ممتلكات الدولة والشعب.

بالإضافة إلى البطالة المتزايدة والتهميش والفقر الإجتماعي" (نفسه: ص23)وتراجع دور الطبقة الوسطى وخراب النظام التعليمي، وبروز الأحزاب الدينية، وتراجع دور القوى اليسارية والقومية. كل ذلك أدى إلى وضع العراقيل بوجه أي مشروع تقدمي، وما تواجهه الأمة العربية اليوم هو أخطر مرحلة في تاريخها، ولعل مشروع التطبيع العربي مع إسرائيل هو من أخطر المشاريع التي تستهدف هوية الأمة، حيث المراد منها طمس الهوية القومية وتشتيت وحدتها وزيادة تفتتها وخلافاتها، وتحقيق مقولة شرق أوسط جديد مركزه والسيطرة فيه لإسرائيل. والأخطر في الموضوع أنَّ بعض الدول العربية التي سلكت بمسار التطبيع مع إسرائيل، بدأت باتخاذ إجراءات بهذا الشأن، ولا سيما تعديل المناهج المدرسية لإعادة صياغة العقل والوعي العربي والإسلامي وخاصة عند الجيل العربي الجديد الصاعد، بحيث يتم تجريدة من عقيدته وتاريخه ومحو ذاكرته وخاصة فيما يتعلق بعدائه مع الصهيونية، واعتبار إسرائيل كجزء طبيعي من النسيج الإجتماعي لهذه المنطقة، وإدخال كلمة إسرائيل بدلاً من فلسطين، ونبذ الإنتماء للعروبة.

والهدف هو "ترويض العقل وكي الوعي المجتمعي العربي" (سوزان مكة، 2024) واستبدال هويته القومية بهوية شرق أوسطية جديدة تعزز مكانة إسرائيل.

وفي ظل هذه التغيرات والتحديات، بات العرب في أمسّ الحاجة من أي وقت مضى إلى العمل لإعادة إحياء المشروع القومي العربي من أجل تحصين مجتمعاتهم والحفاظ على هويتهم، والشروع في عملية بناء نهضة جديدة.

وعليه سوف يتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

– المطلب الأول: تراجع عربي يدعو إلى إستنهاض قومي

– المطلب الثاني: نحو قيام مشروع قومي عربي معاصر

الدراسات السابقة:

- محمد عابد الجابري: من أجل إعادة بناء الفكر القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،صنعاء، 1984.
- زياد حافظ: المشروع النهضوي العربي: قراءة نقدية: قراءات في المشروع النهضوي العربي، 2016، بيروت.
- يوسف محمد جمعة الصواني: المعرفة والمشروع النهضوي العربي، قراءات في المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،2016،مركز دراسات الوحدة العربية.
- الدكتور حسين السيد حسين،نحو مشروع قومي عربي معاصر–دراسة في الفكر السياسي العربي المعاصر،مجلة جامعة دمشق،المجلد ١٦،لعدد الثاني،عام ٢٠٠٠
- عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي – نداء المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

منهجية البحث :

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف الواقع الحالي للمشروع القومي العربي وتحليل أسباب تعثره والعوامل المؤثرة في تراجعه. كما سيتم استخدام المنهج التاريخي لاستعراض التجارب النهضوية السابقة، مثل تجربة محمد علي باشا والتجربة الناصرية، بهدف استخلاص الدروس والعبر منها.

بالإضافة إلى ذلك، سيتم تبني المنهج الاستشرافي لتقديم رؤية مستقبلية حول إمكانية إعادة إحياء المشروع القومي العربي، مع اقتراح استراتيجيات وآليات عملية تعزز التكامل العربي وتحقق النهضة القومية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية. كما سيتم الاعتماد على تحليل الوثائق والدراسات السابقة المتعلقة بالفكر القومي العربي والاستفادة منها في دعم الإطار النظري للبحث.

– المطلب الأول: تراجع عربي يدعو إلى استنهاض قومي:

أمام ما نشهده اليوم من تردي للوضع العربي العام نتيجة الأزمة العميقة للمشروع العربي، والذي تهدده قوى دولية وإقليمية، وتمزقه الهويات والخصوصيات الثقافية.

وقد تبدو أهمية إعادة طرح قضايا المسألة القومية العربية حالياً أكثر من أي وقت مضى، وخاصة أنَّ العالم يمر بتغيرات وتبدلات هامة من جراء العولمة ويتجه نحو قيام تكتلات بشرية كبرى سواء على المستوى القاري أو القومي.ومما لا شك فيه أنَّ المواطن العربي هو المسؤول بالدرجة الأولى، ويلعب الدور الفاعل والمؤثر في معالجة هذا الوضع القائم.

"وعملية المعالجة هذه تتم ذاتياً بين كل فرد فينا وبين نفسه، فالفرد منا بحجة إلى أنّ يتولى معالجة وضعيته الداخلية بنفسه"،(سعدون حمادّي، 1986، ص 14) فيستجمع قواه ويحشد إمكانيته لمقاومة هذا الوضع السلبي الذي نعيشه "بشتى الوسائل مستعيناً بالتاريخ والمبادئ وبالشواهد المؤيدة لموقف الرفض والتشاؤم والمقاومة لأثر السلبي.

إنَّ عملية المقاومة الداخلية هذه تتطلب رفع الصوت ضد الواقع الموجود والتجرؤ علهي وتفنيده والقيام بكل ما نستطيعه من نشاط ثقافي وعملي لمقاومته" (سعدون حمادّي، 1986، ص 14) وبالتالي فإنَّ المهمة الأساسية التي تقع على عاتق المثقفين والمفكرين العرب هي دراسة تاريخ النهضة العربية من فترة ظهور الإسلام كفكر توحيدي حتى يومنا هذا للإتعاظ من تجارب الماضي.

ففي تلك الفترة "قلبت النهضة العربية في ظل الإسلام أعماق المجتمع الجاهلي روحاً وفكراً عن طريق قلب أعماق الفرد، ولم تكن تلك الحضارة إلا نتيجة لتوفر المجتمع القومي السليم الذي أتاح لإمكانيات الفرد أن تنفجر" (سعدون حمادّي، 1986، ص 21)حيث كانت الرسالة الدينية هي الداعم الأساس للنهضة القومية.

أمَّا في وقتنا الراهن فإنَّ إحدى أبرز معوقات النهضة القومية هي أيديولوجيا الإسلام السياسي، وهذا ما جعل الفكر السياسي العربي يعاني من أزمة كبيرة وهي ثنائية الماضي والحاضر، أو ما يُعرف بثنائية الأصالة والمعاصرة، والتي "تحولت إلى إشكاليات معيقة لتجدده وعصرنته، مثل الموقف من العلم والدين والموقف من العلمنة والديمقراطية، والعلاقة بين الهوية الوطنية والهوية العربية الجامعة، وأولوية الديمقراطية السياسية أو العدالة الإجتماعية".(حبيب حداد، 2019)

وعليه، فإنه من الصعب الإنطلاق نحو مشروع قومي جديد، أو إعادة بناء المشروع القومي العربي المعاصر ما لم نعيد النظر في مكامن الضعف والثغرات والشوائب التي اعتورته، فالفكر القومي العربي لم ينشأ "نتيجة لنمو المجتمع العربي وتفاعل مكوناته المختلفة من إقتصادية وسياسية وإجتماعية، ومن ثم لم تتشكل طبقة حاملة لهذا الفكر كما هو الحال في أوروبا" (حسين السيد حسين، 2000، ص 336)

لقد نشأ كرد فعل على سياسة العثمانيين والأتراك. لقد ساهمت سياسة التتريك في رد فعل عربية أسهمت في اتساع انتشار الفكرة القومية فقط في بلاد الشام الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية، "ولم تجد لها صدى في مناطق أخرى في الوطن العربي، الأمر الذي انعكس سلباً على تطور الوعي القومي وتباين المفاهيم المحددة له هنا وهناك في الوطن العربي" (يونس البطريق ، 1968، ص 26)

بالإضافة لذلك، فإنَّ الفكر القومي تأثر إلى حدٍ كبيرٍ "بالفكر الأوروبي، وبخاصة بمقولات هيغل والمثاليين الفرنسيين كأندريه جيد، وبرغسون وغيرهما، الأمر الذي نلاحظه في كتابات ومقولات بعض المفكرين والسياسيين القوميين في الثلاثينات والأربعينات من القرن الفائت"، (ساطع الحصري، 1951، ص 31.)"فقد كتب ميشال عفلق تحت عنوان القومية قدر محبب، والقومية حب قبل كل شيء". (صلاح بيطار، 1980، ص 25)

"وهناك مقولات أخرى كالبعث إرادة الحياة، والوحدة قدر آت، هذه الأمة ستبعث لتستلهم جوهرها السابق". (حسين السيد حسين، 2000 ص 237)

هذه الغيبية في هذا الفكر تنفي السمة الإجتماعية عن الظاهرة القومية والتي هي ظاهر لعمل إرادي يقوم به البشر، وعليه يمكننا القول أنَّ الفكر القومي العربي لم يستطع أن يترجم الواقع العربي أو ان يكون انعكاساً موضوعياً له، لأنه لم يكن تتويجاً لكفاح فئة

إجتماعية صاعدة أو لنشاط جماهيري واسع صاغ مقولاته وأفكاره في خضم التحديات والمعوقات التي تقف بوجه تطور المجتمع العربي ونموه.

فعلى الرغم من أن هذا الفكر قد خاص الكثير من المعارك الفكرية في مواجهة القوى التقليدية والأممية والإقليمية، وتمكنه من إفساد أسلحة القوى المناوئة للقومية، والتأكيد على الهوية القومية للشخصية العربية سعياً لتكوين نظرية قومية، غير أنه "لم يتمكن من صنع سلاح خاص به، يعرّف عن نفسه بتحليله وتشخيصه للواقع الموضوعي للمجتمع العربي أو المستقبل القريب والممكن" (المرجع نفسه.)

لقد ظل الفكر القومي يعالج قضايا الأمة ولا سيما القضايا الوطنية والقومية معالجة طوباوية ومستنداً إلى الماضي، ولم يكن لديه القدرة على إنفلات من الرومانسية، ومن المنهج الغيبي في مقاربته للأمور، وبالتالي لم يطرح المسألة القومية كمضمون إجتماعي وسياسي وإقتصادي.

إنطلاقاً من ذلك سوف نستعرض الأسباب التي حالت دون استمرار النهضة القومية العربية لأهم تجربتين نهضويتين في العصر الحديث، وهما تجربة محمد علي باشا والتجربة الناصرية، وذلك لمعرفة مكامن الضعف واستخلاص العبر، ومعاودة التطلع إلى الرد عليها بمشروع نهضوي تستأنف الأمة مسيرتها نحو الإنتماء لحركة التاريخ، وعليه سيتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين:

- الفرع الأول: تجربة محمد علي باشا
- الفرع الثاني: تجربة النهضة الناصرية

الفرع الأول: تجربة محمد علي باشا:

لقد انتهت هذه التجربة التي انطلقت منذ تولي محمد علي باشا الحكم في مصر وحتى الثورة العربية أثناء الحرب العالمية الأولى إلى ما نتهت إليه من إخفاق نتيجة عدة أسباب وعوامل سياسية وفكرية، نرصد منها ثلاثة رئيسية:

أولاً: أول هذه العوامل هو فشل تجربة الثورة العربية التي قادها الشريف حسين بسبب زيف الوعود البريطانية بدعم قيام الدولة العربية في تحالف العرب مع بريطانيا في الحرب ضد الدولة العثمانية، "وبدل أن تقوم الدولة العربية، سقطت الأقاليم العربية في المشرق العربي، الواحد منها تلو الآخر في قبضة الإستعمار البريطاني والفرنسي، قبلها كانت أقطار عربية قد سقطت تحت سيطرة الإحتلال الأجنبي: الجزائر في مطلع ثلاثينات القرن التاسع عشر، ومصر وتونس في مطلع ثمانينات القرن نفسه، وليبيا في العام 1911، والمغرب في العام 1912" (عدد من المؤلفين –المشروع النهضوي العربي– نداء المستقبل،2013، ص 43.) كل ذلك أدى إلى إنهاء تجربة النهضة التي بدأها محمد علي وأعادها إلى نقطة الصفر.

ثانياً: نتيجة سقوط المنطقة العربية في قبضة الإستعمار الإنكليزي والفرنسي، "بدأت عملية تمزيق كياني لأوصالها الجغرافية والبشرية على نحوٍ قاد إلى تجزئتها واستيلاء دويلات قطرية قوامها تكوينات عصبوية وطائفية ومذهبية وعشائرية منتزعة من بنية الجماعة الوطنية الجامعة ومقذوفاً بها إلى علاقات أخرى إجتماعية – سياسية لا ترى نفسها فيها إلا بوصفها أقليات منغلقة على عصبياتها. وهكذا انتقلت المنطقة من طوبى التقدم والنهضة إلى حيث تعيش مسألة كيانية". (عدد من المؤلفين المشروع النهضوي العربي – نداء المستقبل،2013، ص 43.)

ثالثاً: تراجع الفكر الإصلاحي والإجتهادي بعد غياب نخبة من المفكرين الذين كان لهم الإسهام الكبير في ابتداع النهضة الفكرية أمثال: عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني، "وانقلاب محمد رشيد رضا على الإصلاحية الإسلامية في عشرينات القرن الماضي، مع بداية تنظيره لدولة الخلافة على حساب الدولة الوطنية.

ولقد طال هذا التراجع الفكر الليبرالي ذاته أمام هجوم الفكر المحافظ، وتعد محاكمة كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، وكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق مثالاً على ذلك الهجوم" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ،ص 44)

هذه العوامل كانت سبباً لتراجع فكرة النهضة وإرادتها.

الفرع الثاني: تجربة النهضة الناصرية:

لقد تعرض مشروع النهضة الذي قادته مصر الناصرية للإنتكاسة وذلك لجملة أسباب وعوامل أهمها:

أولاً: جوبه المشروع القومي الناصري مجابهة حادة من القوى الأمبريالية والتي نجحت في إلحاق ضربتين مروعتين به هما: الإنفصال بين مصر وسوريا عام 1961، وحرب الخامس من حزيران 1967، "وهو في هذا يشبه مشروع محمد علي باشا، وكلاهما لم يبدأ سقوطه من الداخل، وإنما بضربة عسكرية من الخارج من فرنسا وبريطانيا المتحالفتين مع غريمهما العثماني في حالة محمد علي، ومن أمريكا وإسرائيل في حالة عبد الناصر". (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013، ص 45)

ثانياً: أحد أبرز نقاط ضعف هذا المشروع هو تأجيله مطلب الديمقراطية واعتبارها دون قضية التنمية أولوية، وبالتالي استبعاده قطاعات واسعة من الشعب من المشاركة السياسية وإدارة المشروع نفسه.

ثالثاً: قيام هذه النهضة على كريزما وشخصية جمال عبد الناصر في ظل غياب دور ونظام المؤسسات القومية، وهذا ما سهلّ للقوى الأمبريالية الإنقلاب على المشروع الناصري بعد رحيل صاحبه.

رابعاً: الدعم الكثيف الذي قدمته القوى الأمبريالية للثورة المضادة للإنقلاب والإنقضاض على النهج القومي الناصري، مع ما ترتّب عنه من تغيير في السياسة المصرية والإنفتاح على الغرب وصولاً إلى الصلح مع أميركا وإسرائيل، "والتمسك بالدولة القطرية كمقدس سياسي" (عدد من المؤلفين ،المشروع النهضوي العربي –نداء المستقبل،2013، ص 43.)

خامساً:الصراع الذي نشب بين المشروع القومي الناصري، وبين تيارات الإسلام السياسي، "لم يمّكن من إستيلاد تحالف عريض يضم سائر القوى ذات التمثيل الأصيل والفعالية السياسية تحمل ذلك المشروع وتنهض بمهمة تحقيقه" (المشروع النهضوي العربي ،ص 43) بل على العكس "فإنها أدت لذوبان الشخصية القومية في الإطار الإسلامي بسبب الصحوة الإسلامية أو في إطار الشرق أوسطي والمتوسطي" (حسين السيد حسين،2000، ص 340.)

يتبين من خلال ما تقدم أنّ نجاح النهضتين القوميتين كانت قائمة على وجود القائد الفذ الجماهيري (محمد علي باشا – جمال عبد الناصر)، وبمجرد غيابه تراجع هذان المشروعان واضمحلا، ومعنى ذلك انَّ بناء أي مشروع قومي عربي جديد ينبغي أن ينشأ نتيجة لنمو المجتمع العربي وتفاعل مكوناته المختلفة من إجتماعية وسياسية وإقتصادية وذلك من أجل استمرار ديمومته.

من هنا ضرورة العمل على ترسيخ الثقافة القومية عند الأجيال العربية الصاعدة لبناء مجتمع عربي حامل لهذا الفكر.وبالتالي فإنَّ المآلات التي آلت إليها تجارب النهضة السابقة والتي تحدثنا عنها، لا ينبغي أن تحجب عنا ما راكمته من مكتسبات، وما كان فيها من عوامل قوة تحتاج اليوم إلى استعادة وتطوير، وإلى تضمينها لإعادة استنهاض القومية العربية من جديد.

المطلب الثاني: نحو قيام مشروع قومي عربي معاصر:

شهد العالم في العقود الثالث الأخيرة فوضى عارمة بفعل سيطرة الأحادية القطبية المتمثلة بالولايات المتحدة الأميركية وتدخلها في الشؤون الدولية، وقد انعكس سلباً على الكثير من دول العالم.

"من هنا بدأ العالم يتجه في أجواء العولمة نحو إيجاد تكتلات إقتصادية لا يجمع بينها أي عامل وحدوي سوى المصالح المشتركة"،(أحمد سعيد نوفل، 2024) ولم يعد للدول الصغيرة والنامية كالدول العربية ودول العالم الثالث أي مستقبل في ظل نظام عالمي جديد يتجه نحو بناء تكتلات كبيرة.

ولا شك أنَّ استمرار التجزئة في الوطن العربي يضعف من قوة العرب، ويهدد بقاء الأمة العربية ومستقبلها، وهو ما أدى إلى الوضع المأساوي الذي نعيشه الآن.

وفي ظل هذا "الوضع المتردي الذي آلت إليه الأمة العربية"،(عبد الله عبد الدايم ، 2003، ص 1) بات من الضروري اليوم أن يعي العرب بعمق طبيعة المرحلة التاريخية التي يمرون بها، وأن يدركوا أنَّ هذه المرحلة بالتحديد تستلزم أكثر من أي مرحلة أخرى ضرورة العودة إلى المشروع القومي العربي.

فالإنتكاسات والهزائم العربية، وعدم الصمود في وجه التحديات الخارجية، بالإضافة إلى "التردي الذي نشهده هو النتيجة الطبيعية لغياب المد القومي، وأنَّ الخروج منه لا يكون إلا بالعودة إلى المنطلقات الأساسية التي أمدتها وتؤكدها الدعوة القومية العربية" (عبد الله عبد الدايم ، 2003، ص 1) وهي وضع أيديولوجيا قومية تكون بمثابة نظرية شاملة تسمح للنهضة القومية أن تتقدم على أسس راسخة ومتينة، وأن تنطلق إنطلاقاً سليماً في سبيل النهوض بالأمة لكي تستعيد مكانتها المرموقة بين الأمم، وعليه سيتم تقسيم هذا المطلب إلى عدة فروع:

- الفرع الأول: التجدد الحضاري
- الفرع الثاني: الوحدة العربية
- الفرع الثالث: الديمقراطية
- الفرع الرابع: التعامل الصحيح مع العولمة
- الفرع الخامس: التنمية الشاملة
- الفرع السادس: العدالة الإجتماعية
- الفرع السابع: الإستقلال الوطني والقومي
- الفرع الثامن: التعليم والبحث العلمي

الفرع الاول: التجدد الحضاري:

لقد أصبح العرب اليوم بأمسّ الحاجة إلى بلورة نهضة قومية تستنهض الأمة العربية مجدداً، "وهذا يتطلب وسيلة لإطلاق ديناميات التقدم والتجدد في عمرانهم الإجتماعي والثقافي على النحو الذي يؤهلهم للحاق بغيرهم من الأمم المعاصرة التي أخذت بخط من المدنية والكونية، وعلى النحو الذي يحفظ لهم خصوصيتهم الثقافية والقيمية، فإنَّ ضرورة هذا التجدد تأتي بالذات من الحاجة إليه، ومن الحاجة إلى التحرر من الأسباب التي تمنع العرب من تحقيقه" (المشروع النهضوي العربي ، ص 52 – 53) ومن أبرز هذه الأسباب:

أولاً: إنَّ المجتمع العربي يعاني من تردي أوضاعه وتأخراً كبيراً وفادحاً في البنى الإجتماعية والثقافية، وتراجع العقل الإجتهادي وهيمنة الخرافات والماورائيات، وهيمنة للفكر الطائفي والقبلي على حساب الإنتماء للوطن والأمة.

ثانياً :يعاني الوطن العربي أيضاً أشكالاً بائسة من الحداثة الرثة نتيجة اصطدامه بحضارة الغرب، وقد نتج عن ذلك تشوهاً في البنى الثقافية والإقتصادية والإجتماعية، وبالتالي فقد سادت نزعة التقليد والتماهي بالغرب، "وتقديس الوافد واحتقار الموروث، والتغريب والتبشير غير المشروط بثقافة الغرب" (عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 52 – 53)

فالحضارة الغربية برأي الكثيرين من العرب يعتبرونها أفضل ما وصلت إليه البشرية، وهي تقدم أجوبة ثقافية غربية على معضلات مجتمعاتنا العربية، وهذا خطأ فادح، لأن هناك فارق في البنى والتاريخ، وهذا ما أدى إلى التراجع والإنحطاط العربي.

من هنا ينبغي على النهضويين اليوم مواجهة وتصحيح هذه الأخطاء، سعياً لتأسيس حداثة جديدة تخدم الشخصية القومية ومصلحة المجتمع العربي، واستلهام كل ما هو مفيد وعظيم ونير، والإستفادة من تجارب الآخرين على نحو ما فعلت الصين واليابان ودول أخرى... والتي حققت نقلة نوعية في مجتمعاتها سعياً للسير في ركب التقدم والتطور، وهذا يحتاج إلى تحقيق أربع أهداف أساسية:

1– إنهاء حالة النزاع داخل المجتمع العربي وفي أوساط نخبه ومفكريه فيما يخص العروبة والإسلام، "وإعادة إدراك الهوية في بعدها التركيبي الجامع للحدين" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 75) فرسالة الإسلام الي جاء بها النبي محمد شكلت مرتكزاً أساسياً ومحتوى للقومية العربية والعروبة.

وبالتالي فإنَّ الفهم الخاطئ لعلاقة الإسلام بالعروبة أنتج نزاعاً وصراعاً ثقافياً كان المجتمع العربي في غنى عنه.

2– إنَّ المجتمع العربي هو مجتمع متعدد ومتنوع ثقافياً، لذلك يجب الإستفادة من هذه الخصوصية، "واعتبار هذا التنوع عامل إخصاب وإغناء للثقافة العربية ينبغي استثماره بطريقة عقلانية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 52 – 53) لا عامل تهديد وانقسام كما يجري اليوم على الساحة العربية.

3– إجراء عملية نقد مزدوج لثنائية الأصالة والمعاصرة، وهما مرجعيتان تحكمان الوعي العربي منذ قرنين، "وتمارسان عليه تأثيراً هائلاً" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 52 – 53) وتقفا عائقاً أمام قدرته على التجديد والتقدم، فالأصالة هي الرجوع للماضي وإسقاط أحكامه على الحاضر العربي، أما المعاصرة فهي التماهي بحضارة الغرب والتأثر بقيمه وعاداته وهذا الصراع بين الأصالة والحداثة أرهق الوعي العربي وبات يهدد بحربٍ ثقافيةٍ وفكريةٍ داخل المجتمع العربي. هكذا "عاش الفكر العربي خصوصاً صراعاً محتدماً وتناقضاً مدمراً بين هذه الثنائيات التي يواجهها" (حبيب حداد، 2024)

4- التركيز على الإستفادة من التراث العربي ومن الحضارة الغربية، "من خلال العمل على فهمهما فهماً علمياً رصينا دون انتقائية ايديولوجية، والبحث عن أفضل السبل إلى بناء علاقة صحيحة بكل منهما. وفي هذا السياق ينبغي أن يحدث تواصل مستمر مع التراث من أجل معرفة منظومته وإدراكها في سياق أسئلتها التاريخية، والإستفادة من الخبرة الماضية في مجابهة مشكلات عرضت نفسها على العقل والحضارة دون استنساخها، مثلما ينبغي أن يقع اتصالاً مستمراً مع الغرب والثقافة الغربية من أجل المزيد من معرفة منظومتها وإدراك ما هو خاص فيما يرتبط بأوضاع المجتمعات الغربية وتاريخها وبناها، وما هو عام كوني يمكن اعتماده من أجل إغناء الثقافة العربية". (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 56)

فلا نهضة ثقافية وقومية دون "إعادة تمثّل التراث والحداثة تمثلاً علمياً صحيحاً، ودون إعادة بناء صلتنا الثقافية بهما على نحو صحي ومتوازن".(عدد من المؤلفين ،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 56)

الفرع الثاني: الوحدة العربية:

لقد أثبتت التجارب التاريخية أنَّ الوحدة بين أبناء الأمة العربية شكلت مصدر قوة للعرب، فالوحدة ضرورية حيوية ووجودية لهم، بل تفرضها عليهم المصلحة المشتركة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، وهي حق شرعي ومشروع لهم من أجل تحقيق النهضة القومية.

وبالتالي فإنّ تحقيق الوحدة العربية ليست نتيجة حتمية تصل إليها الأمة، "وإنما هو رهن بتوافر إرادة ومشروع سياسي يعملان من أجل ذلك، ويعبئان كافة الموارد والإمكانات التي تهيئ الشروط لذلك" (المشروع النهضوي العربي ، ص 56)؛ لذا فإنَّ العمل على تحقيقها يجري بالتدرج خطوة خطوة، لأنها مشروع طويل الأمد، يبدأ بتأهيل العقل العربي بمدى أهمية الإتحاد العربي، "وهذا يحتاج لعمل جماعي وفريق من الخبراء والمثقفين العرب" (محمد ابراهيم منصور،2024)من أجل إعداد الخطط الملائمة لتنفيذ هذا المشروع، والخطوة الأولى والأساسية تبدأ بغرس الأفكار القومية والوحدوية عند الأجيال العربية من خلال المناهج المدرسية والتعلم، مروراً بإلغاء الطائفية وحل الأحزاب المذهبية وتنمية ولاء المواطن للوطن الجامع وللكيان القومي، وإعطاء دور فاعل لمؤسسات المجتمع المدني. كل ذلك الهدف منه تهيئة الأرضية المناسبة للإنطلاق بالمشروع القومي النهضوي الشامل.

ومن أجل إنجاح هذا المشروع يُفترض أن تعتمد صيغة الدولة القومية الإتحادية وليس صيغة الدولة القومية الإندماجية، لأن الأخيرة "قد توحي بأنها تفترض إلغاءً كاملاً للكيانات القطرية"، (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 70) وهذا ما يعرضه للفشل والإخفاق، وخير دليل على ذلك الإنتكاسة التي تعرضت لها التجربة الوحدوية بين مصر وسوريا عام 1961.

لذلك يجب الشروع في "العمل على الدولة الإتحادية على غرار الإتحاد الأوروبي، التي تقوم على اجتماع الكيانات العربية القائمة وتراضيها على مؤسسات إتحادية مشتركة تنتقل إليها السلطة الجامعة مع استمرار سلطاتها المحلية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 71)

ولا بد أنَّ يكون هذا الإتحاد العربي محل توافق وتراضٍ بين الكيانات والقوى العربية كافة، ويُشترط لتحقيقه قيام السوق القومي، وتحسين شروط المعيشة للمواطن العربي وتحقيق المشاركة السياسية وتعزيز الامن القومي، وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً بين الطبقات والفئات الإجتماعية، وبالتالي فإنَّ هذا الإتحاد الفيدرالي العربي هو بمثابة مقدمة لقيام مشروع الوحدة العربية لاحقاً.

الفرع الثالثً: الديمقراطية:

إنَّ ما يميز المشاريع النهضوية أولاً وسيما المشروع النهضوي القومي عن غيرها هو مضمونها الديمقراطي التي تقوم عليه، فالديمقراطية هي ركن أساسي من أركان النهضة ورافعة من رافعاتها. أما بالنسبة لحال مجتمعنا العربي، فالمواطن يعاني من العبودية السياسية والخوف، كما أنَّ قراره السياسي مصادراً، وهذا يشكّل عائقاً كبيراً يقف بوجه أي محاولات تقدمية نهضوية.

لذلك فإنَّ الديمقراطية "هي النظام الذي يحرّر المواطنين العرب من العبودية السياسية والخوف، ويطلق الطاقات الإجتماعية للإنتاج والإبداع والتنافس، ويعزز اللحمة الوطنية والقومية إستناداً إلى رابطة المواطنة" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي– نداء المستقبل،2013 ، ص 75) فمن خلال تعزيز حس المواطنة يتحرر المجتمع العربي من تعددية الإنتماء الطائفي والمذهبي ومن التبعية، ويصبح الولاء للدولة الوطنية والقومية هي المرجعية الأساسية.

وهناك مشكلة أخرى تمثل عقبة أساسية بوجه النهضة والتقدم، وهي "أنَّ معظم الأنظمة السياسية العربية هي أنظمة تسلطية إستبدادية تجمع بين مضامين الإستبداد الشرقي وخصائص الدكتاتورية الجديدة في الرأسمالية" (حسين السيد حسين،2000، ص 343) وهي على غرار النظم التي سادت في الإتحاد السوفياتي السابق، حيث أنَّ الفرد هو الذي "يهيمن على كافة مؤسسة الدولة ويدمج جميع السلطات في سلطته المطلقة بصرف النظر عن وجود أو غياب مجالس تمثيلية شكلية ومفرغة من أي محتوى ديمقراطي"،(حسين، ص 343) ومن أجل العمل على تجاوز هذه المشكلة ينبغي الأخذ بالمبادئ الديمقراطية وأساليبها المتجددة والتحرر من الهيمنة الأجنبية، والمجيء بنظم ديمقراطية تُنتخب من الشعب مباشرةً، ويكون المبدأ الأساسي هو "العروبة والأخوة والتضامن العربي" (حسين السيد حسين، 2000،ص 343)وذلك من أجل تفعيل العمل العربي المشترك بين أبناء الأمة العربية.

وينبغي العمل أيضاً على نشر ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وإعادة تأهيل النظام الأسري والنظام التربوي على قيم الديمقراطية، وتحرير المرأة العربية ومساواتها بالرجل، وإقرار التعددية السياسية، مما يعني حق جميع فئات المجتمع بالمشاركة في الحياة السياسية من أجل منع أي شكل من أشكال احتكار التمثيل السياسي، ويجب أيضاً تفعيل دور الرقابة على السلطات من خلال المساءلة والمحاسبة.

كل ذلك الهدف منه العمل اعلى إعادة تنظيم المجتمع العربي لكي يكون مؤهلاً لبناء نهضة قومية عربية شاملة.

الفرع الرابع: التعامل الصحيح مع العولمة:

لقد حققت العولمة تقدماً كبيراً على كافة الصعد الإقتصادية والثقافية والإجتماعية، وأحدثت ثورة تكنولوجية لم يشهد لها العالم مثيل من قبل. وعلى الرغم من هذا التطور التكنولوجي الذي قدمته العولمة للبشرية، غير أنها ليست كتاباً مقدساً، ويُفترض الإختيار والإنتقاء منها بما يفيد مصلحة الدول.

"فالدول الغنية تعاملت مع العولمة على أنها حزمة قابلة للتفكيك، وفككتها فعلاً وانتقت منها ما يوافق مصالحها"، (عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 90)غير أنها لم ترغب في إتاحة مثل هذه الفرصة للدول النامية، بل مارست عليها ضغوطاً كثيرة كي تلتزم بالتحرير الشامل لتجارتها، وكي تلغي الدعم في صناعاتها، "وهذا شكل ضغوطاً متزايدة الأشكال والأهداف قلصت إلى حدٍ كبير من هامش الإستقلالية والمبادرة العربية والإقليمية، وعملت على تصدع الكتلة العربية وتفاقم أزمة النظم السياسية وانفلاش المجتمعات وتذرر بنياتها" (برهان غليون، 2005) ونتج عن ذلك مزيد من التبعية العربية للغرب، وأصبح القرار السياسي العربي مصادراً، وقد ترافق ذلك مع تراجع دور الأسرة، وتغير في القيم العربية، والتأثر بالقيم والعادات الغربية وبالثقافة الأميركية على وجه الخصوص.

كل ذلك أدى لمزيد من التشرذم والإنقسام داخل المجتمع العربي، بالإضافة للتبعية الإقتصادية للغرب؛ وعليه فإنَّ الحل هو سعي الدول العربية للإعتماد على نفسها وعلى قدراتها الذاتية، مع الإستفادة من بعض الجوانب الإيجابية للعولمة لصالح مصلحة العرب القومية.

الفرع الخامس: التنمية الشاملة:

يعاني اقتصاد الدول العربية من تراجع وتخلف إجتماعي وإقتصادي بكل المعايير ، وذلك بفعل السياسات الإقتصادية التي انتهجتها الحكومات العربية طيلة العقود الثلاث الماضية، مما نتج عنها ربط الاقتصاد العربي بالنظام الرأسمالي المعولم، الأمر الذي زاد من تبعية العرب للغرب، "وفضلاً عن ذلك ازداد الإعتماد على النفط ومشتقاته زيادة كبيرة، مما عمق من الطبيعة الريعية للإقتصاد العربي" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 87)فتحول الاقتصاد العربي إلى إقتصاد ريعي في ظل تراجع القطاعين الصناعي والزراعي، وهذا ما أدى إلى مزيد من الفقر والبطالة والتهميش الإجتماعي.

كل هذه العوامل أثرت سلباً على القرار السياسي العربي، الذي بات خاضعاً لإملاءات القوى الإقتصادية المالية الغربية والأميركية على وجه الخصوص. "من هنا وجوب ضرورة الإعتماد على التنمية المستقلة، وذلك لا يعني القطيعة الكاملة أو العزلة عن العالم الخارجي، بل هو توفير أكبر قدر من حرية الفعل للإرادة الوطنية المستندة إلى تأييد شعبي حقيقي في مواجهة عوامل الضغط التي تفرزها آليات الرأسمالية، وفي مواجهة القيود التي تفرضها المؤسسات الدولية" (عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 89) ولا سيما صندوق النقد الدولي.

وعليه، يجب العمل على وضع خطط إقتصادية عملية وبرامج واضحة من أجل تحقيق النهوض القومي للعرب "وبنائه بناءً متيناً يستجيب لمطالب الحاضر العربي والمستقبل العربي ومستلزمات التطور العالمي" (الدايم ، ص 2) ولإنجاح هذه الخطط ينبغي على القيمين القيام بعدة خطوات:

أولاً: الخطوة الأولى: "تحرير القرار التنموي القطري والقومي من السيطرة الأجنبية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل، ، ص 91) واستخدام الموارد الذاتية العربية وتوظيفها بما يخدم المصلحة العربية.
ثانياً: الخطوة الثانية: التركيز على اكتساب المعرفة باعتبارها مصدر أساسي للقيمة وعنصر جوهري للتنمية الحقيقية.
ثالثا": الخطوة الثالثة: "إنشاء نسق مؤسسي فعال موجه نحو التكامل القومي وصولاً إلى ما يمكن تسميته منطقة حرة عربية" (عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل، 2013 ، ص 91) ويجب التمييز بين مرحلتين: "الأولى

مرحلة التنمية التكاملية التي يتولاها كل قطر لتحقيق تكامل داخله في ما بين الأقطار، والثانية مرحلة تكامل إنمائي يتولى فيه الكيان التكاملي تسيير دفة التنمية" (المشروع النهضوي العربي ، ص 91)

رابعاً: الخطوة الرابعة: الإنفتاح على العالم المعاصر بشكلٍ مدروس بغرض الإستفادة من منجزات البشرية.

خامساً: تفعيل القطاعات المنتجة كالقطاع الزراعي والصناعي وفتح الأسواق بين الدول العربية، فهذا من شأنه تمتين العلاقات العربية – العربية، مما يعزز التكامل الإقتصادي العربي، ويجعل من العرب قوة إقتصادية موازنة على مستوى العالم.

الفرع السادس: العدالة الإجتماعية:

تمثّل العدالة الإجتماعية أحد أبرز مقومات بناء المشروع النهضوي العربي، "وقد شددت عليها الثقافة العربية والإسلامية في العصر الوسيط" (المشروع النهضوي العربي ، ص 103)باعتبارها "رغبة وحاجة ضرورية في أي مجتمع يريد أن يتقدم ويتطور" (بشارة مرهج، 2024.) وهي عبارة عن تكافؤ الفرص في توزيع الثروة والدخل وتحقيق الكفاية والعدل في المجتمع.

"وبالنظر إلى العدالة الإجتماعية من منظور المشروع القومي النهضوي" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 103) فلا بد من العمل على "بنية متكاملة وملائمة لملكية وسائل الإنتاج"،(عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 104) ومنظومة سياسات يتعين اتباعها من أجل تجسيدها في الواقع العربي وتعزيزها.

وبالتالي، لا يمكن أن تتحقق العدالة الإجتماعية إلا في مجتمع يسوده الإستقرار والتقدم، وفي ظل قيام الدولة بدورها على أكمل وجه، "وتدخلها الحاسم في وضع سقوف لملكية وسائل الإنتاج لإتصال ذلك بالعدالة في تلبية الحقوق الإجتماعية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 104) وهذا يتطلب خلق قطاع عام قوي قادر على التحديث والتقدم يشاركه وجود قطاع خاص يشارك بعملية التنمية وفق خطة شاملة ومدروسة تحت إشراف مباشر من الدولة.

وبالنسبة لعالمنا العربي فإنَّ هناك الكثير من المعضلات والمشكلات التي تحول دون تحقيق العدالة الإجتماعية، ومنها تبني العديد من الحكومات العربية النظام الإقتصادي الرأسمالي منذ التسعينات من القرن الفائت، فتخلت الدولة عن الكثير من واجباتها ومهامها، وقد نتج عن ذلك ظهور الطبقية واتساع الشرخ بين الفقراء والأغنياء، وارتفاع نسبة البطالة، واستغلال العمال من أجل الربح، هذه العوامل خلقت البيئة الحاضنة لتصاعد العنف والخطاب الطائفي. ومن أجل السير في تحقيق العدالة الإجتماعية من أجل النهوض القومي، لا بد من اتخاذ العديد من الإجراءات أهمها:

أولاً: "إعادة هيكلة النفقات العامة، حيث تقوم هذه بدور هام في إعادة توزيع الدخل.

ثانياً: التدخل لتنظيم العلاقات الإيجارية بين الملاك والمستأجرين في الريف والمدينة بما يضمن تأمين حق السكن في إطار من العدالة والأمان للمستأجرين" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 107)

ثالثاً: تفعيل دور الصناديق الضامنة التي تقوم بدور هام في تأمين الإنسان العربي ضد مخاطر الحياة والخوف من المستقبل.

رابعاً: العمل على إزالة الفوارق بين الطبقات الإجتماعية، "وإعادة تكييف السياسات الضريبية بحيث تتجه إلى تقليص الفوارق بين الدخول والثروات في المجتمع العربي" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 107)

خامساً: إفساح المجال للمواطنين العرب في مجال التعليم والتوظيف لكافة الفئات الإجتماعية، باعتبار ذلك الإلتزام ضرورة لا غنى عنها، وذلك من أجل ضمان الحراك الإجتماعي على أساس عادل.

سادساً: وضع استراتيجية قومية للنهوض بالمرأة العربية، ووضع قانون عربي للأسرة يضمن الحقوق لكافة مكوناتها.

سابعاً: تأسيس صناديق لمكافحة الفقر على المستويين الوطني والقومي.

ثامناً: العمل على تأسيس صناديق سيادية للدول العربية.

الفرع السابع: الإستقلال الوطني والقومي:

يُعتبر الوطن العربي من أكثر المناطق احتكاكاً بالعالم الخارجي وذلك بسبب موقعه الجغرافي الذي يتوسط العالم، وباعتباره مهداً للديانات السماوية، ومركزاً ثقافياً وحضارياً هاماً. كما أنه يختزن مقدرات وثروات هائلة، مما أعطاه أهمية استراتيجية واقتصادية.

هذه المعطيات والعوامل أعطته مزايا ومؤهلات للتقدم وبناء قوة عربية لها مكانتها على المسرح الدولي، لكنها أيضاً "شكلت عبئاً ثقيلاً عليه في مراحل التراجع والإنكسار، بمقدار ما تغري القوى الخارجية بالتدخل فيه أو بسط السيطرة عليه وإفقاده استقلاله" (عدد من المؤلفين، المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 103) من هنا باتت قضية الإستقلال الوطني والقومي شرطاً أساسياً وبديهياً من شروط النهضة وإحدى أهم ركائزها.

وبالتالي فإنَّ مشروع النهضة في جوهره هو مشروع للإستقلال والأمن في الآن عينه، لذلك فإن الأمن يصبح أحد أبرز أهداف المشروع النهضوي القومي. واليوم إذا نظرنا للمنطقة العربية، نجد أنَّ قسماً كبيراً من الدول العربية رازحة تحت الإحتلال، "فالأمة العربية تواجه نوعين من الاستعمار الذي يقوّض ركائز الإستقلالين الوطني والقومي، وهما الإستعمار الصهيوني الذي يقوم على هدف اجتثاث الوجود العربي في فلسطين شعباً وتاريخاً ودينياً وحضارة، وإبداله بوجود يهودي صهيوني" (علي محمد فخرو،2024)

والإستعمار الغربي الذي احتل جزءاً كبيراً من البلدان العربية كالعراق وليبيا وسوريا... وعمل على إثارة الفتن الطائفية والمذهبية بهدف ضرب المجتمع العربي وتمزيقه تمهيداً لإحكام السيطرة عليه وعلى مقدراته وعلى قراره السياسي.

هذا التحالف الوثيق والمتين بين الحركة الصهيونية والقوى الأمبريالية الغربية، كان بمثابة سد منيع بوجه أي حركة نهضوية تقدمية وقيام إتحاد عربي.

ومن أجل التحرر والسير في بناء المشروع النهضوي القومي، "وتصفية آثار الإحتلال والتبعية وبناء المجتمع العربي الموّحد" (ناجي علوش، 1991، ص 19) ينبغي وضع استراتيجية تقوم على الآتي:

أولاً: تحرير الأرض العربية:

لا يستقيم استقلال وطني أو قومي، ولا يتحقق إلا ببسط السيادة على الأرض العربية وتحريرها تحريراً كاملاً من الإحتلال الأجنبي، "ومن أجل تحقيق هذا الهدف يتعين استخدام كل الوسائل المتوفرة والمتاحة، ولا سيما المقاومة بالدرجة الأولى بكافة أشكالها ولا سيما الشعبية والعسكرية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 114)

لقد أثبتت التجارب التاريخية أنَّ المقاومة هي الأداة الأساسية الفعالة في تحرير الأرض العربية واستعادة الحقوق، "لذلك يجب احتضان فصائلها ومناضيلها، وإبراز أبعادها الإستراتيجية والسياسية والثقافية والإعلامية والإقتصادية والتربوية، والسعي إلى توحيد فصائلها على مستوى القطر وعلى مستوى الأمة، ويتطلب أيضاً تطوير آدائها وخطابها، وتعميق علاقاتها القومية والدولية بما يعزز الوحدة على مستوى الأقطار وعلى مستوى الأمة" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 114)

ثانياً: تصفية القواعد الأجنبية:

إنَّ وجود القواعد الأجنبية في مناطق واسعة من الوطن العربي يُعد انتهاكاً خطيراً للسيادة العربية، ومظهر من مظاهر فقدان الأمن والإستقلال، وقد ناضلت الحركات القومية العربية في الخمسينات والستينات من القرن الفائت من أجل تصفية القواعد الأجنبية كما حصل في مصر عند جلاء القوات البريطانية عنها عام 1954 و1956، وكذلك الأمر بالنسبة للجماهيرية الليبية بعد ثورة الفاتح 1969 التي أغلقت القواعد العسكرية فيها.

لكن الوجود العسكري الغربي عاد ليطل برأسه من جديد وخاصةً بعد تراجع الحركة القومية وانهيار الإتحاد السوفياتي، والحرب على العراق في مطلع التسعينات ليعج بأجزاء كبيرة من المنطقة العربية، مما أدى إلى فرض قيود على القرار السياسي العربي وصولاً إلى تهديد الأمن القومي العربي وسلامته.

وبالتالي يجب على حركة النضال العربي المسترشدة بالرؤية النهضوية الشاملة العمل على تصفية القواعد الأجنبية وإلغاء الإمتيازات والتسهيلات العسكرية الممنوحة للقوات الأجنبية، وبالتالي "فإنَّ نجاح قوى المشروع النهضوي العربي في تصفية هذه القواعد سيرتبط من ضمن ما سيرتبط به بمدى نجاحها في استيلاد آليات فعالة لتسوية المنازعات العربية بوسائل سلمية من جهة، وإيجاد نظام فعّال للأمن الجماعي القومي يدرأ التهديدات الخارجية، ويدفع الأخطار المحدقة بالوطن العربي" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي –نداء المستقبل،2013، ص 115)

ثالثاً: مواجهة المشروع الغربي – الصهيوني:

بات يتعين على النخب الفكرية العربية والقوى القومية أن تعي تماماً خطورة المشروع الغربي – الصهيوني الذي يُشكل تهديداً لمستقبل الأمة العربية ومصيرها، وأن تطلق خطة قومية طويلة الأمد تستند إلى الأسس التالية:

1– "التمسك العربي بالثوابت القومية المتمثلة في عدم التفريط بأي حق من حقوق الأمة العربية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 117) وعدم الإعتراف بشرعية الكيان الصهيوني من خلال مقاطعته إقتصادياً وعدم التعامل مع مؤسساته.

2– تعزيز وحدة الفلسطينيين من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي لهم، وإنشاء صندوق خاص به، "والتشديد على تمسكهم بأرضهم" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 116) مع رفض مبدأ التوطين.

3– التشديد على إفلاس نهج التسوية مع إسرائيل، وتقديم الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية، وتعزيز الوحدة بين الفلسطينيين.

أضف لذلك يجب العمل على تفعيل الدفاع العربي المشترك من أجل درء المخاطر الخارجية، بالإضافة لهذه الخطوات من الأهمية أيضاً القيام بخطوات اخرى، وهي "حماية الأمن الغذائي العربي من خلال وضع مخططات لسد الفجوة الغذائية من خلال زيادة

الإستثمارات وتحقيق التكامل في السياسات الزراعية" (المشروع النهضوي العربي ، ص 122) وحماية الأمن البيئي، وخاصة بسبب التغيرات المناخية العالمية التي تطال المنطقة العربية وما سيصاحبها من ظواهر عديدة ولا سيما التصحر والجفاف، "مما يفرض إنشاء معاهد رصد وإجراء البحوث اللازمة لدراسة التأثيرات البيئية والتحسب للمخاطر الناجمة عنها" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 114) ووضع الخطط المناسبة لمواجهة هذه الأخطار.

وهناك أيضاً الأمن الإجتماعي العربي حيث تواجه دول عربية عديدة ظاهرة العمالة الأجنبية الوافدة والتي كان بها آثاراً سلبية على الإستقرار السياسي والإجتماعي العربي. من هنا ضرورة العمل على "وضع استراتيجية قومية للعمالة والتوظيف تستهدف على المدى الطويل تصحيح الخلل القائم والمحافظة على الهويات الوطنية والقومية لمختلف الأقطار العربية" (عدد من المؤلفين،المشروع النهضوي العربي–نداء المستقبل،2013 ، ص 114)

كل ذلك الهدف منه الفكاك من إسار التبعية والتحرر من الهيمنة الأجنبية، وبناء مشروع قومي نهضوي.

الفرع الثامن: التعليم والبحث العلمي:

يُعدّ التعليم أحد الأركان الأساسية لتحقيق النهضة القومية، فالنهوض بالمجتمع يتطلب قبل كل شيء النهوض بالتعليم ورفع مستواه، بحيث يواكب باستمرار متغيرات العصر في المعرفة العلمية والتقانية؛ لذلك يجب العمل على مكافحة الجهل والأمية وتكثيف الجهود العلمية والبحثية في سبيل الإرتقاء بالمجتمع العربي نحو الأفضل من خلال الخطوات التالية:

أولاً: فتح الباب واسعاً في الأقطار العربية للتعليم وجعله مجاناً.

ثانياً: "التوسع في التعليم الفني والمهني لأنه يقوم بدورٍ هامٍ في رفع القدرة التطبيقية للأطر الوطنية والقومية، ويدعم مبدأ الإعتماد على الذات" (حسين السيد حسين،2000 ،ص 349)

ثالثا": تقديم الدعم المادي لمراكز الأبحاث العلمية من قبل الحكومات العربية، وذلك من شأنه أن يؤدي إلى تنمية شاملة التي ستنبثق عنها بنى إجتماعية قادرة على اتباع نهج جديد في العمل العربي.

رابعاً: تقديم الدعم المادي، ورفع المكانة الإجتماعية للعاملين في مجال التعليم، ليصبح العلم هدفاً أسمى للجميع، ومطلباً أساسياً عند الجماهير العربية.

الخاتمة:

إن إحياء المشروع القومي العربي كمشروع نهضوي يمثل ضرورة ملحة في ظل التحديات الراهنة التي تواجه الأمة العربية، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي. وقد أظهر البحث أن تراجع هذا المشروع كان نتيجة لعوامل متعددة، منها الانقسامات الداخلية، والتدخلات الخارجية، والتحولات الاقتصادية غير المدروسة. ومع ذلك، فإن النهضة القومية لا تزال ممكنة إذا ما تم تبني رؤية استراتيجية قائمة على التكامل العربي، وتعزيز الهوية الثقافية، والاستفادة من تجارب الماضي.

ومن هنا، فإن نجاح أي مشروع قومي عربي معاصر يتطلب إرادة سياسية قوية، ودورًا فاعلًا للنخب الفكرية والمجتمع المدني، إضافة إلى صياغة سياسات تنموية تعزز الاستقلالية الاقتصادية والاجتماعية. لذا، فإن إعادة إحياء الفكر القومي العربي لا ينبغي أن تكون

مجرد استرجاع لماضٍ مضى، بل يجب أن تكون عملية ديناميكية تتكيف مع متغيرات العصر، وتسهم في تحقيق مستقبل عربي أكثر وحدة واستقرارًا ونهوضًا.

النتائج:

- تراجع المشروع القومي العربي كان نتيجة للانقسامات الداخلية، والتدخلات الخارجية، وضعف الإرادة السياسية، مما أدى إلى تعطيل مسار النهضة القومية.
- التجارب النهضوية السابقة أثبتت أن نجاح أي مشروع قومي يتطلب وجود رؤية استراتيجية واضحة، وإرادة سياسية قوية، وبنية مؤسسية تدعمه لضمان استمراريته.
- التكامل الاقتصادي العربي يعد ركيزة أساسية لإحياء المشروع القومي، حيث إن ضعف التعاون الاقتصادي بين الدول العربية ساهم في زيادة التبعية للخارج وإضعاف الاستقلالية الاقتصادية.
- الديمقراطية والتنمية الشاملة ضروريان لتحقيق النهضة القومية، إذ لا يمكن بناء مشروع قومي ناجح دون إشراك الشعوب في صنع القرار وضمان العدالة الاجتماعية.
- إمكان إحياء المشروع القومي العربي لا يزال متاحًا، لكنه يتطلب إعادة صياغته بما يتناسب مع المستجدات الدولية، والتركيز على التنمية والوحدة والتكامل كأهداف رئيسية.

التوصيات:

- إعادة صياغة المشروع القومي العربي وفق رؤية حديثة تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الإقليمية والدولية، والتركيز على التنمية والتكامل بدلاً من الخطابات الأيديولوجية المجردة.
- تعزيز التكامل الاقتصادي العربي من خلال إنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة، وتفعيل السوق العربية المشتركة، وتقليل الاعتماد على القوى الاقتصادية الخارجية لتحقيق استقلال اقتصادي مستدام.
- إرساء مبادئ الديمقراطية والمشاركة السياسية لضمان إشراك الشعوب العربية في اتخاذ القرارات، وتعزيز سيادة القانون والعدالة الاجتماعية كأساس لنهضة عربية حقيقية.
- دعم الهوية الثقافية العربية عبر إصلاح المناهج التعليمية، وتعزيز الإنتاج الثقافي والإعلامي الذي يرسّخ الانتماء القومي، ويواجه محاولات طمس الهوية العربية.
- تفعيل دور النخب الفكرية والمجتمع المدني في نشر الوعي القومي وتعزيز فكرة الوحدة العربية، من خلال مبادرات فكرية وثقافية وسياسية تسهم في إعادة إحياء المشروع القومي العربي.

المراجع:

أنطونيوس، جورج. (1987). بقطة العرب– تاريخ حركة العرب القومية الإصدار – ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت.

البطريق، يونس. (1968). الدعوة القومية في الوطن العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

بيطار، صلاح. (1980). القومية العربية في الفكر والممارسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الحصري، ساطع. (1951). محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مطبعة الرسالة، القاهرة.

حوراني، ألبرت. (1962). الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار للنشر، بيروت.

د. حمادي، سعدون.(1986). تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

د. عبد الدايم، عبد الله. (2003). الطريق إلى المشروع القومي العربي، منشورات الطليعة، تونس.

د. غليون، برهان. (2005). العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، مركز دراسات الشرق المعاصر في جامعة السوربون، باريس.

زرزور، عدنان محمد. (1999). جذور الفكر القومي والعلماني – المجلد 3_ ، الدار العربية للعلوم: ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

عدد من المؤلفين. (2013م). المشروع النهضوي العربي – نداء المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 2013.

علوش، ناجي. (1991). المشروع القومي من الدفاع إلى الهجوم، الدار العربية للكتاب، القاهرة.

فروخ، عمر. (1980). تجديد التاريخ، في تعليله وتدوينه، دار الباحث ،بيروت.

مرهج، بشارة. (2024) "العدالة الإجتماعية في الوطن العربي بين الحاضر والمستقبل... قراءة جديدة من معطيات طوفان الأقصى"، المؤتمر القومي العربي الثالث والثلاثون، بيروت.

د. حسين، السيد حسين. (2000) "نحو مشروع قومي عربي معاصر– دراسة في الفكر السياسي العربي المعاصر"، مجلة جامعة دمشق (قسم الدراسات السياسية–المعهد العالي للعلوم السياسية): 16 (2): 336–349.

مكة، سوزان. (2024) "تعديل المناهج لإفلات إسرائيل من العقاب."https://al- akhbar.com/Lebanon/382021

حداد، حبيب. (2019) "محنة الصراع بين الأصالة والمعاصرة في المجتمعات العربية".
./https://caus.org.lb/author/haddad_habib

نوفل، أحمد سعيد. (2009) " القومية العربية آخر ما تبقّى للعرب".
.https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2009/201172224056312447.html

منصور، محمد ابراهيم. (2024) "الدراسات المستقبلية ماهيتها وأهمية توطينها عربياً".
Source

فخرو، علي محمد. (2024) "مدخل الإستقلال الوطني والقومي".
Source

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار الثامن – العدد الثامن والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – نيسان – 2025م
www.ajsp.net

"The Possibility of Reviving Arab National thought as a Renaissance Project"

Researcher:

Jamal Hamza Al-Tufayli

Abstract:

This research aims to explore the possibility of reviving the Arab nationalist project as a renaissance movement that enhances Arab identity and promotes unity and development amid contemporary challenges. It examines the reasons behind the decline of Arab nationalism, highlighting internal factors such as political divisions and weak economic integration, as well as external influences like foreign interventions and economic dependency. Additionally, it reviews past nationalist experiences, including Muhammad Ali Pasha's reforms and the Nasserist movement, to extract lessons that could contribute to rebuilding the Arab nationalist project with a more modern and pragmatic approach.

The study emphasizes the essential pillars that should support the contemporary Arab nationalist project, including strengthening economic integration, establishing democracy and social justice, and activating the role of intellectual elites and civil society in fostering a strong national identity. Furthermore, it discusses the importance of engaging with globalization cautiously, ensuring that Arab nations benefit from its advantages while preserving their cultural and political independence.

The research concludes that reviving the Arab nationalist project remains feasible, but it requires redefining its objectives and mechanisms to align with regional and global transformations. Therefore, the study recommends developing a new strategic vision based on comprehensive development, empowering Arab societies, and fostering cooperation across various fields to achieve a sustainable and integrated Arab renaissance.

Keywords: The Arab national project, The Arab renaissance, Economic integration, National thought.